

خطبة الجمعة - الخطبة ٨٧٩ : مصير الطغاة .

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-٤-١٨

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشد، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مُضل له، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن وآله ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### القرآن الكريم هو القول الثابت في الدنيا والآخرة :

أيها الأخوة الكرام: حينما أشار الله جل جلاله في كتابه العزيز إلى أن القرآن فيه شفاء للناس، القرآن فيه شفاء للصدور، النفوس القلقة إذا قرأت القرآن تطمئن، و النفوس الخائفة إذا قرأت القرآن تطمئن، و النفوس الحائرة إذا قرأت القرآن تطمئن.

القرآن أيها الأخوة هو القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، منه نستقي تحليل الأحداث، و تحليل الأحداث أهم بكثير من إدراك وقوعها، ما من إنسان على وجه الأرض إلا وقد علم بما حدث، و لكن المؤمنين الصادقين إذا قرؤوا القرآن الكريم و تدبروا القرآن الكريم فهموا لماذا الذي حدث حدث، فهموا تحليل الأحداث من عند خالق الأرض و السموات، فيه شفاء للناس لأنه يعطيك التحليل من عند الخبير، و فيه شفاء للناس لأنه يرسم لك طريق الخلاص، و فيه شفاء للناس لأنه ينبعك بما سيكون لا من باب علم الغيب و لكن من باب العلم بالقوانين.

لو اكتفينا أيها الأخوة بقراءة هذه الآيات على سبيل المثال: هذه عاد طفت و بعثت و كذبت رسولها أولئك الذين وصف الله قوتهم بقوله:

﴿إِنَّمَا تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بَعْدِ﴾

[سورة الفجر: ٦]

تجبروا و تكبروا و قالوا لنبيهم استهزاء و استهتاراً:

﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَا قُوَّةً﴾

[سورة فصلت: ١٥]

فرد الله عليهم بقوله:

﴿أَوَلَمْ يَرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِأَيَّاتِنَا يَجْحَدُونَ \* فَلَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقُهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابَ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾

[سورة فصلت: ١٥-١٦]

عاد الأولى هكذا كان مصيرها، و عاد الثانية هذا هو مصيرها طال الوقت أو قصر، و هذا فرعون يقول متجرراً و طاغياً:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِيَّ أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجَنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنَّوْا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجِعُونَ \* فَأَخَذْنَاهُ وَجَنُودَهُ فَنَبَذَنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص: ٣٨-٤٠]

ويصف لنا ربنا جل جلاله هذا الطاغية المتجر، وإذلاله لموسى عليه السلام ولقومه، و عدم مبالاته بهم فقال تعالى:

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ \* إِنَّ هَوْلَاءَ لَشَرِذَمَةٌ قَيْلُونَ \* وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَانِظُونَ \* وَإِنَّا لِجَمِيعِ حَادِرِونَ﴾

[سورة الشعراء : ٥٣-٥٦]

فكان النتيجة:

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ \* وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ \* فَأَتَبْعَوْهُمْ مُشْرِقِينَ \* فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ \* قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا﴾

[سورة الشعراء : ٥٧-٦٢]

إلى آخر الآيات.

### سنة الله ماضية في الأمم الطاغية :

أيها الأخوة الكرام: نحن حينما نستقرئ بما في كتاب الله عن حال الأمم المكذبة الطاغية نجد أن سنة الله ماضية فيهم بأن دمرهم الله تدميراً، ولكن لكل أجل كتاب:

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾

[سورة الحجر: ٥]

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَدًا﴾

[سورة مريم: ٨٤]

و كما قال سبحانه:

مصير الطغاة .

﴿وَكُمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرِيْبَةِ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا أَخْرَيْنَ﴾

[سورة الأنبياء: ١١]

## أسباب هلاك الأمم الطاغية :

### ١ – محاربة الله ورسوله :

أيها الأخوة: ثم يقول الله عز وجل عن بعض الأمم:

﴿يَا وَيَّا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ \* فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾

[سورة الأنبياء: ١٤-١٥]

أيها الأخوة: هذه عاد، وقد أهلكها الله، وهذا فرعون، وقد أهلكه الله، وسنة الله جارية في الأمم الظلمة المكذبة، هذه قوانين الله عز وجل:

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسْنَةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

[سورة الأحزاب: ٦٢]

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسْنَةَ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

[سورة فاطر: ٤٣]

هؤلاء الأمم الذين أهلكهم الله عز وجل ماذا فعلوا؟ أحد بنود أفعالهم أنهم كفروا، وصدوا عن سبيل الله، وطاردوا المؤمنين والدعاة والمصلحين، وطاردوا أعمال الخير، وضيقوا عليهم بالأساليب المباشرة وغير المباشرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَ لِي وَلِيًا فَقَدْ آذَنْتُهُ...﴾

[البخاري عن أبي هريرة]

فكيف إذا عاديت كل أولياء الله؟ بل تعادي الله جل جلاله استكباراً و عناداً، قال تعالى:

﴿لَا يَغُرِّنَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَادِ \* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٦-١٩٧]

و قال تعالى:

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة الأنعام: ١٤٧]

أعود و أقول: القرآن شفاء للنفوس، شفاء للنفوس المضطربة، شفاء للنفوس الحائرة، شفاء للنفوس الخائفة، هذه سنة الله في الأمم الطاغية لن تتبدل و لن تتغير، وأية أمة حاربت الله ورسوله فهذا مصيرها، لكن الله من حكمته أنه يمد للظالم حتى إذا ظن هذا الظالم أنه إله الأرض قصمه، وجعله عبرة لمن يعتبر.

الشيء الثاني أيها الأخوة: التأله، الكبراء ردائهم و العظمة إزاري فمن نازعني منهما شيئاً أذقته عذابي و لا أبالي، الجهة التي تدعى لنفسها من القدرات ما لا يليق إطلاقه إلا على الله تعالى تتعامل مع الآخرين، ولسان حالها يقول: أنا ربكم الأعلى، أنا أفعل ما أشاء، من أردت بقاءه أبقيته، ومن أردت إهلاكه أهلكته، قالت هذه القوة لزعيم دولة إسلامية: إما أن تتعاون معنا وإما أن نجعل بلادك تعيش العصر الحجري، أليس هذا تجبراً؟ أليس هذا تأله؟ أليس هذا طغياناً؟

أيها الأخوة الكرام: قال تعالى:

﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنُعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾

[سورة الأعراف: ١٣٧]

الظلم أيها الأخوة أحد أسباب هلاك الأمم الطاغية، الحجم الهائل الذي توقعه الأمم الطاغية على الشعوب الضعيفة حجم لا يصدق، تهديم، وقتل، واستباحة، وإذلال، وتحطيم، ولا يحتاج كلامي إلى دليل.

إن الأخبار التي تسمعونها عما يجري في هذه الدولة التي احتلت هي خير دليل لما أقول، الظلم الذي يقع على الأمم الضعيفة يشتري أنواعه، ظلم احتلال، وظلم إذلال، وظلم استباحة، وظلم نهب ثروات، هذا الظلم الشديد مرتعه وخيم.

أيها الأخوة الكرام: حجم القصف الذي أصاب هذه البلاد الإسلامية يفوق أربعة أضعاف القبلة الذرية التي أقيمت على اليابان والخسارة هم المدنيون، هم الأطفال و النساء، و حينما نبحث عن سلاح الدمار الشامل نبحث عنه بسلاح دمار شامل، التناقض يفوق حد الخيال، وحينما نأتي بالحرية نسلب حرية كانوا ينعمون بها قبل الاحتلال.

أيها الأخوة الكرام: فالظلم أحد أسباب هلاك الأمم وقد قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِنَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

[سورة القصص: ٥٩]

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾

[سورة الأنبياء: ١١]

﴿فَكَيْنُ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا هَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٌ مُعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مُشَيَّدٌ﴾

[سورة الحج: ٤٥]

فالتأله و محاربة الله و رسوله و الكبر و الظلم أحد أسباب هلاك الأمم.

## ٤ – البطر :

البطر كفر النعمة، ويكون بأحد أمرتين إما بجحد المنعم بها، وإما بعدم شكره، واستخدامها في غير ما خلقت لأجله، إما أن تجحد المنعم، تنتعم بنعم لا تعد ولا تحصى، وتتفق عند النعمة ولا تتجاوزها إلى المنعم، أو أن تستخدم هذه النعمة لِيُقْاعِدَ الْأَذْى وَالشَّرِّ فِي الْبَلَادِ، والعبد هذا هو البطر جحود النعمة.

أيها الأخوة الكرام: البطر أحد أسباب هلاك الأمم، والتاليه أحد أسباب هلاك الأمم، ومحاربة الله ورسوله أحد أسباب هلاك الأمم.

## ٥ – الاستكبار و الغرور :

من هذه الأسباب أيضاً: الاستكبار والغرور، فهذا الظالم يقول أو لسان حاله يقول: من أشد مني قوة؟ وقد قالوا ذلك، أية جهة تفك أن تقاوم مصيرها كما ترون أليس هذا استكباراً؟  
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

[سورة النساء: ١٧٣]

كل هذه الأسباب محققة في هؤلاء الذين يعتدون على الشعوب الضعيفة المستسلمة.

## القرآن الكريم سبيل الخلاص :

أيها الأخوة الكرام: يقول الله عز وجل:  
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ الْيَمِّ شَدِيدٌ﴾

[سورة هود: ١٠٢]

مرة ثانية من خلال القرآن الكريم القول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة نستشف التحليل الصحيح لما يجري، ومن خلال القرآن الكريم القول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة نتلمس طريق الخلاص، ومن خلال القرآن الكريم القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ننتبه بما سيكون، لا من باب علم الغيب و لكن من باب العلم بالقوانين، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ الْيَمِّ شَدِيدٌ ))

[منفق عليه عن أبي موسى رضي الله عنه]

ي ملي أي يرخي له الحبل، يجعله يأخذ كل أبعاده، يجعله يظهر كل ما في نفسه، يعطيه الهدف الأكبر له لا على حساب أحد، ولكن:

﴿لِيَهُكَّ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ﴾

[سورة الأنفال: ٤٢]

## لكلّ أمةٍ أَجْلٌ وَالْأَجْلُ نُوْعًا :

أيها الأخوة الكرام: شيء آخر قد يغيب عن أذهان المؤمنين يقول الله جل جلاله:  
﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ أَجْلٌ﴾

[سورة الأعراف: ٣٤]

أي كلّ أمة تتمو، وتتمو، وتكبر ثم يهلكها الله عز وجل: و لكلّ أمة أَجْلٌ و لكلّ إنسان أَجْلٌ، الآية هنا:

﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ أَجْلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[سورة الأعراف: ٣٤]

ولكن متى أَجَلُهُمْ؟ هذا العلم عند الله عز وجل، وقد قال العلماء في تفسير هذه الآية: قد يكون هذا الأَجْل الذي ضربه الله للأمم كما ضربه للأفراد آجال انفراط و زوال بالكلية، وقد يكون انتكاساً وضعفاً و تراجعاً يحيط بأمة من الأمم أو شعب من الشعوب، قال عليه الصلاة و السلام:

((وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجْلٍ مُّسْمَى))

[مسلم عن أسامة بن زيد]

فللأمم آجال كما للأفراد، لها نهوض، ولها هبوط، ولها شباب وهرم، ولكن البشرة أن هذه الأمة المحمدية وهي في أصعب مواقفها تميز عن الأمم الأخرى بأن أَجَلَها لا ينتهي إلا بقيام الساعة، فإنها أمة تمرض، ولكنها لا تموت، هذا من إخبار النبي عليه الصلاة و السلام.

لكلّ أمة أَجْلٌ، والأَجْلُ نُوْعًا، أَجْلٌ إِحْلَاكٌ، وَأَجْلٌ ضُعْفٌ وَنَفْكَاكٌ، فاللأمة المحمدية أَجَلَها إلى قيام الساعة – هي تمرض لكنها لا تموت، و لعل هذه الأمراض التي تحيط بها من أَجْلٌ أن تصحو

من غفلتها، من أَجْلٌ أن تعود إلى رشدتها، من أَجْلٌ أن تؤمن بوحي ربها، يقول الله عز وجل:

﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلَيُمَحَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾

[سورة آل عمران : ١٤١-١٤٠]

إذاً هذه الحياة الدنيا أساسها الابتلاء، هي دار عمل، وليس دار سعي، و ليست دار تشريف، هي دار تكليف، وليس دار تشريف، إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فـيأخذ ليعطى، ويبتلي ليجزي.

## تغطرس الطغاة و حمقهم :

أيها الأخوة الكرام: آية يحار بها الإنسان، يقول الله عز وجل في محكم تنزيله عن هؤلاء الظالمين المجرمين:

﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمُّمْ مِنْ قَبْلٍ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٤]

أيعقل أن يقسم إنسان أنه لا يموت؟ هذا وقع، هؤلاء الطغاة يقولون: نحن نهاية التاريخ أي أن قوتنا إلى نهاية الحياة، ولن تتضعضع، ولن تضعف، وننذداد قوة، وننذداد سيطرة، وننذداد تحكماً:

﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمُّمْ مِنْ قَبْلٍ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٤]

الحقيقة أنهم ليسوا نهاية التاريخ، بل تاريخ النهاية إن شاء الله تعالى، لكن الله جلت حكمته يقول:

﴿وَتِنَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة آل عمران : ١٤٠]

أي كان من الممكن أن ينتصر المؤمنون طوال الحياة الدنيا، وكان من الممكن أن ينتصر الكفار طوال الحياة الدنيا، ولكن حكمة الله شاعت أن يكون النصر وعدم النصر متداولاً بين الأمم والشعوب، ليتحسن الله المؤمنين عند انحسار النصر عنهم، وليتحسن الله الطرف الآخر حينما ينتصرون، ماذا يفعل المؤمن إذا انتصر؟ وماذا يفعل إذا انهزم؟ وماذا يفعل الكافر إذا انتصر؟ و ترون بأعينكم ماذا يفعلون، قال تعالى:

﴿وَتِنَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

[سورة آل عمران : ١٤٠]

## دفع الظلم و لو كان تسلি�طاً من الله :

أيها الأخوة الكرام: ثم يقول الله عز وجل:

﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

[سورة البقرة: ٢٥١]

أي هذا الظالم ينبغي أن يدفع، قد نفهم الآية أمراً تكوينياً، وهناك فهم لهذه الآية أنها أمر تكليفي، إذا دخل لص إلى البيت لقد دخل بقضاء الله وقدره فهل ينبغي لك أن تستسلم؟ فرق العلماء بين القضاء والقدر وبين المقتضي، المقتضي إذا كان شرًّا ينبغي أن يدفع، فالآية من جهة هي أمر تكويني:

﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾

[سورة البقرة: ٢٥١]

و هي في الوقت نفسه أمر تكليفي، أي أن الظلم ينبغي أن يدفع، ولو كان تسلি�طاً من الله عز وجل.

## انهزام المسلمين أمام أنفسهم سلط عليهم الطغاة :

شيء آخر أيها الأخوة: العدو هذا شأنه، قلت في الخطبة السابقة: إن ضعاف النفوس يبحثون عن مشجب يعلقون به مشكلاتهم، آلاف المسلمين بل ملايين المسلمين يعزون ما هم فيه إلى القوة الbagie، أو إلى جهة من الجهات داخلية أم خارجية، ولكن العدو عدو وهذا شأنه، ولكن لم تتمكن العدو أن يفعل بنا ما يشاء؟ إذاً الكراهة عندنا، الخلل عندنا، نحن الذين انهزمنا أمام أنفسنا فهزمنا العدو، لذلك قال تعالى في آية محكمة:

﴿أَوْلَمَا أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٥]

بكل بساطة، و بكل وضوح، و بكل كلام فيصل:

﴿أَوْلَمَا أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٥]

لا تلم أحداً، الذي تلومه هذا شأنه، هو متوازن مع نفسه، يفعل ما يفعل انطلاقاً من مصالحه، و يفعل ما يفعل انطلاقاً من حده، و يفعل ما يفعل انطلاقاً من بعده عن ربه، يفعل ما يفعل انطلاقاً من كفره بالآخرة، يرى بعين واحدة، و ما من حديث شريف يصف هذه القوة الطاغية بأبلغ من هذا الوصف أبور دجال يرى ما يفعله الطرف الآخر، يرى على تعبيره إرهاب الطرف الآخر و لا يرى إرهابه هو، يتوجه أن عند الآخرين سلاح تدمير شامل و ينسى أنه يستخدم أخطر أسلحة التدمير الشامل، أبور يرى بعين واحدة، يرى مآخذ الطرف الآخر، أما جريمته الكبرى فلا يرها و لا يتحدث بها، دجال كل شيء يقوله يفعل عكسه، و أكبر دليل على هذا الكلام ما تسمعون في الأخبار، الحرية ترون ما هي الحرية التي منحوها للمسلمين في العراق، الديمقراطية، حقوق الإنسان، كل شيء يفعلونه عكس ما يقولونه، أبور دجال و هذا من أدق أوصاف النبي عليه الصلاة و السلام، العبرة أيها الأخوة أن الله سبحانه و تعالى حينما يقول:

﴿أَوْلَمَا أَصَابَتُكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَادِيرٌ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٥]

أيها الأخوة الكرام: البطر، والظلم، والتآله، ومحاربة الله ورسوله، هذه كلها أسباب مجتمعة في هذا القطب الطاغي، مصير هؤلاء إلى الهلاك، ولكن من عند الله عز وجل، الله عز وجل يقول:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجْلٌ﴾

[سورة الأعراف: ٣٤]

و حينما ينطقون يشفون عن أنهم قوة باقية إلى نهاية الحياة:

﴿أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمَتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٤]

وهذا من جهلهم.

## القرآن شفاء للنفوس الحائرة الخائفة :

أيها الأخوة: مرة ثانية نحن إذا قرأتنا القرآن، وهو القول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة:  
﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

أحياناً فيها الأخوة تقرأ القرآن، تفهم بعض المعاني من آياته، لكنه في أحياناً أخرى حينما تقع الأحداث الرهيبة، و تقرأ القرآن تفهم الآية فهماً آخر، و كأنها آية مفصلة على أحداثنا تماماً، فهمك للقرآن يتجدد، و يزداد عمقاً، و يزداد واقعية حينما تقرؤه عقب أحداث آلية:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَعْتَهُ﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْتِ الْأَرْضُ رُخْرُقَهَا وَازْرَقَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ﴾

[سورة يونس: ٢٤]

اقرؤوا القرآن فيه شفاء للنفوس الحائرة، فيه شفاء للنفوس المضطربة، فيه شفاء للنفوس المريضة، هذا كلام خالق الأكون.

مرة أخرى: بالقرآن تضع يدك على أدق تحليل لما يجري، و بالقرآن تتلمس طريق الخلاص، هذا الذي أصاب المسلمين ليس قهراً مؤداء الاستسلام لكنه تسلط الواحد الديان، و التسلط يعني أن الكراهة عندنا، عندنا خلل لو أصلحنا هذا الخلل لغير الله أحوالنا، فالقرآن نحل و بالقرآن نبحث عن طريق الخلاص، و بالقرآن ننتبه بمصير هؤلاء الطغاة الذين أفسدوا الأرض إفساداً ما بعده إفساد.

أيها الأخوة الكرام: حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنووا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيختطف غيرنا إلينا، فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هواها، و تمنى على الله الأماني.

\* \* \*

## الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولهم الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كل إنسان له أن يقول ما يشاء ولكن فعله يؤكّد أو ينفي قوله :

أيها الأخوة الكرام: كما قلت قبل قليل إنك تقرأ قصص القرآن الكريم عقب أحداث أليمة ففهمها فهماً آخرًا، هذه الملكة بلقيس:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُقْرِي إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَا تَعْلُوْ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾

[سورة النمل : ٣١-٢٩]

التفتت إلى قادتها العسكريين وقالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْ رَأَيْتَ تَشَهَّدُونَ﴾

[سورة النمل : ٣٢]

يبدو أن لها مجلس أمن، قالوا:

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ﴾

[سورة النمل : ٣٣]

هؤلاء الصقور:

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرْ يَ مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾

[سورة النمل : ٣٣]

هذا هو الحل العسكري، نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرین؟  
قالت: أليست هذه الآية التي سوف أتلوها تتطبق على ما حدث بأدق التفاصيل، قالت:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾

[سورة النمل : ٣٤]

هدموا البيوت، هدموا المنشآت، هدموا الاتصالات، هدموا مجمعات المعلومات، قطعوا المياه،  
الكهرباء، أحرقوا الوزارات، نهبوا المتاحف، نهبوا الجامعات:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾

[سورة النمل : ٣٤]

هدموا ما كان بنائه من مئة عام، لم يبقوا شيئاً:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾

[سورة النمل : ٣٤]

اكتفوا بإفسادها؟ بتدمير كل شيء؟ بالمصطلحات الحديثة بتدمير البنية التحتية، بتدمير الوثائق،  
حرق المكتبات، بنهب المتاحف، باتفاق كل شيء:

﴿وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلَّ﴾

[سورة النمل : ٣٤]

إتفاق و تدمير و إذلال و كذلك يفعلون:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلَّ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

[سورة النمل : ٣٤]

هم يرثون شعاراً، وقد يكونوا صادقين، أو غير صادقين، كل إنسان يدعي أنه مصلح، و أنه جاء ليفعل كذا وكذا، ما المحك لمدى صدقه أو كذبه؟ أفعاله، أي الدعوة سهلة جداً، أنا أقول: أنا جئت لفعل كذا وكذا، ما الذي يؤكد صدقني أو عدم صدقني؟ الحقيقة فعلي، هذا الكتاب جاءها مننبي كريم من سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وأنه:

﴿إِنَّمَا مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَا تَعْلُوْا عَلَيَّ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِينَ﴾

[سورة النمل: ٣١-٣٠]

هي أرادت أن تتحننه قالت:

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾

[سورة النمل: ٣٥]

أي يا ترى هدفه مادي أم أن هدفه قيم ينشرها أو مبدأ ينشره؟ هل هو صادق فيما يقول أم اتخذ هذا الكلام غطاء لمطامعه؟

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمْدِونَ بِمَا أَتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ بِلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفَرَّحُونَ \* ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَنَأْتَيْتُهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذْلَلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

[سورة النمل: ٣٧-٣٦]

إذاً كل إنسان له أن يقول ما يشاء، ولكن فعله يؤكد قوله أو ينفي قوله، لو أن هذا النبي الكريم فرح بالهدايا الثمينة وكانت دعوته ليست صحيحة، لكن لأنه قال:

﴿أَتُمْدِونَ بِمَا أَتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ بِلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفَرَّحُونَ﴾

[سورة النمل: ٣٦]

إذاً هناك حل عسكري و هناك طريق آخر. على كل يعنينا من هذه القصة الرائعة في سورة النمل هذه الآية:

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلَلَةً وَكَذِّلَكَ يَفْعَلُونَ﴾

[سورة النمل: ٣٤]

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يحمينا من ظلم الطغاة، إنه على ما يشاء قادر.

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافت، و تولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، و قنا و اصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، و إنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت، تباركت ربنا و تعاليت، و لك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحًا يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحربنا، أكرمنا و لا تهنا، آثرنا و لا تؤثر علينا، أرضنا و أرض عننا، اللهم أصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلاح لنا دنيانا التي فيها معاشرنا، و أصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زادنا من كل خير، و اجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك،

و بطاعتك عن معصيتك، و بفضلك عمن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك، و لا تهلك عنا سترك، و  
لا تسنا ذكرك يا رب العالمين.

اللهم بفضلك و رحمتك أعل كلمة الحق و الدين، و انصر الإسلام و أعز المسلمين، و خذ بيد  
ولاتهم إلى ما تحب و ترضى، وأذل الشرك و المشركين، دمر أعداءك أعداء الدين، دمرهم في  
كل مكان، أرنا قدرتك في تدميرهم، يا حي يا قيوم، اللهم انصرنا على أنفسنا حتى ننتصر لك،  
حتى نستحق أن تتصرنا على أعدائنا، إنك على ما تشاء قادر و بالإجابة جدير.

**والحمد لله رب العالمين**